معالم القرآن والسنة
MAʿALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

منهج الطاهر بن عاشور في تعليل الفاصلة القرآنية دراسة نقدية

TAHIR IBN ASHOUR'S APPROACH TO STATING THE SEMANTIC OF THE QURʾĀNIC COMMA: A CRITICAL STUDY

Ilham Messaoud Mebrouk
University of Sharjah, Faculty of Sharia and Islamic Studies, Exegesis and Quranic Sciences Branch, Sharjah, United Arab Emirates.
E-mail: ilhamysara@gmail.com

Professor Nayel Mamduh Abu Zaid
Faculty of Fundation of Religion, University of Sharjah, Sharjah, United Arab Emirates.
E-mail: nabuzaid@sharjah.ac.ae

الملخص

يقدم هذا البحث دراسة نقدية وصفية لمنهج ابن عاشور في توجيه دلالة الفاصلة االقرآنية، و يثبت أنه لا يقتصر على القول برعاية الفاصلة، بل يجتهد في تطلب علل معنوية لها، ويعنى بذلك عناية خاصة، وقد سار في هذا الباب على منهجه الذي بينه في مقدماته، وهو بيان المناسبات القرآنية فكان بحث دلالة الفاصلة فرعا من أصل بحثه في مناسبات القرآن. ومع ذلك فإن استخراج المناسبات المعنوية للفاصلة من كتاب التحرير والتنوير لابن عاشور يحتاج إلى التقصي والدقة؛ لأنه لا يصرح دائما بها، بل قد يلمح إليها ويذكر فائدة الفاصلة في غضون تفسيره للفقرات القرآنية. وقد ساقت الدراسة نماذج من التفسير تدل على منهجه كما قامت بعرضها على محك النقد العلمي المبنى على مراعاة أصول التفسير.

الكلمات المفتاحية: ابن عاشور، الفاصلة القرآنية، النقد، المناسبات.

ABSTRACT

This research presents a critical and descriptive study of Ibn Ashour's approach to directing the semantic of the Qurʾānic comma and proves that he is not limited to its rhyming role, but he strives to seek meaning indication for it. In the preface of one of his books, he explained his approach, which is a statement on Qurʾānic occasions, so researching the

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

significance of the comma is a branch of his research on Qurʾānic occasions. Extracting the intangible occurrences of the comma from Ibn Ashour's book "Al-Tahrir and al-Tanweer" needs veracity investigation and accuracy because he did not always state this matter, rather he may allude to the subject and mentioned the benefit of the comma during his interpretation of the Qurʾānic passages. The study presented examples of interpretation indicating Ibn Ashour's method and gave them to the test of scientific criticism based on observing the principles of exegesis.

Keywords: Ibn Ashour, Quranic Comma, criticism, occasions.

1. المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

لقد صرح ابن عاشور في مقدماته بمذهبه في الفاصلة القرآنية[1] وأنها "مِنْ جُمْلَةِ الْمَقْصُودِ مِنَ الْإِعْجَازِ لِأَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى مُحَسِّنَاتِ الْكَلَامِ وَهِيَ مِنْ جَانِبِ فَصَاحَةِ الْكَلَامِ،"[2] فالجرس الصوتي **غاية في البيان المجيد** كما أنه مقصد الفصاحة العربية.

ويؤيد ابن عاشور مذهبه بأن تكرار الفواصل في السورة الواحدة يشير بأنها تقع على وجه مقصود من النظم، وأن "الْعِبْرَة فِيهَا بِتَمَاثُلِ صِيَغِ الْكَلِمَاتِ مِنْ حَرَكَاتٍ وَسُكُونٍ وَهِيَ أَكْثَرُ شَبَهًا بِالْتِزَامِ مَا لَا يَلْزَمُ فِي الْقَوَافِي، وَأَكْثَرُهَا جَارٍ عَلَى أُسْلُوبِ الْأَسْجَاعِ".[3]

---

[1] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، 1412هـ، *المفردات في غريب القرآن*، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، بيروت: دار القلم، دمشق: الدار الشامية، ط1، ص638.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 1984هـ، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، تونس: الدار التونسية للنشر، ج1، ص75.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص75.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ولكن ابن عاشور مع كونه قائلا برعاية الفاصلة، إلا أن ذلك لم يمنعه من تطلب علل معنوية لها بل قد عني بذلك عناية خاصة، وسار في هذا الباب على منهجه الذي بينه في مقدماته وهو بيان المناسبات القرآنية [4] فكان بحث دلالة الفاصلة فرعا من أصل بحثه في مناسبات القرآن.[5]

فالمنهج الذي سار عليه في تناول الفاصلة منهج وسط حيث يبحث دلالتها المعنوية ويتلمس أسرارها اللطيفة ما أمكنه ذلك، وإن لم يتبين له من وظيفة الفاصلة إلا الجانب الفني متمثلا في رعاية الفواصل قال به على غرار عامة المفسرين قبله، ويؤكد مع ذلك على أن رعاية الفواصل من متتمات الفصاحة عند العرب وأنه من وجوه الإعجاز البياني.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطاهر ابن عاشور كما بين ذلك في مقدمته ينعى على من يهدر جهود المفسرين القدامى ويهدم ما مضوا عليه قرونا كما ينأى بنفسه أن يكون مقلدا عاكفا على ما أشادوا بلا زيادة أو تهذيب ويرى أن ذلك تعطيل لفيض القرآن، وهو بين هذا وذاك مفيد ومستفيد.

ولذلك فإنه عندما يكتفي بالإحالة على رعاية الفاصلة إنما يقتفي أثر من قبله، وإذا تبين له علة غيرها دل بها، ومع ذلك فإن بعض الدارسين لمنهج ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير[6] تغاضى عن هذا المسلك الوسط، وقصر نظره في بحث الفاصلة على الأمثلة التي اكتفى فيها ابن عاشور بتعليل لفظي وانتقدوها عليه دون الإشارة إلى أمثلة كثيرة سواها كان له فيها اجتهاد واستنباط لدلالاتها المعنوية، ولا يعول على مثل تلك الأحكام لما تقرر عند العلماء من أن الحكم بلا استقراء أو النفي بلا إحاطة قصور في البحث والدراسة.

وإلى جانب ذلك فإن الطاهر ابن عاشور قد يلمح إلى مناسبة معنوية للفاصلة فيذكر فائدتها في غضون تفسيره للفقرات القرآنية التي هو بصددها، ومن يتفهم عبارته ويألف أسلوبه لا يعييه الوقوف عليها لأن ابن عاشور يتميز في أسلوبه بالربط المحكم بين الأفكار، وقوة النظم والتأليف وهو في ذلك مجاف لتكرار المعاني وتوضيح الواضحات فليس من أسلوبه التصريح بلفظ المناسبة في كل موضع بل كثيرا ما يكل أمر ذلك إلى استنتاج القارئ فهي سنة مضى عليها العلماء الأوائل كما لا يخفى.

---

[4] وقد بحثت عناية ابن عاشور بمناسبة الفاصلة في رسالة الماجستير الموسومة ب"المناسبات في سورة يوسف، دراسة مقارنة بين الرازي وابن عاشور"،كلية الشريعة قسم أصول الدين، جامعة الشارقة، 2015م واستخلصت أمثلة كثيرة في مبحث المناسبات في الفاصلة القرآنية فلينظر.

[5] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج1، ص8.

[6] خالد محمود، 1411هـ/1991م، *تفسير ابن عاشور، دراسة منهجية ونقدية*، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور فضل عباس، ص159-166.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

مشكلة الدراسة: تأتي الدراسة لتبحث مدى وجاهة النقد الموجه لابن عاشور في بحثه للفاصلة من خلال الإجابة على الإشكالات الآتية:

أ- ما موقف العلامة الطاهر بن عاشور من درس الفاصلة القرآنية على وجه التحقيق؟

ب- ما الأساس الذي بنى عليه ابن عاشور قوله بمراعاة الفاصلة؟

ج- كيف يعلل ابن عاشور وقوع الفاصلة في كثير من الأحيان على وجه مخالف لمقتضى الظاهر؟

أهداف الدراسة:

يهدف البحث إلى تصحيح مسار بعض الدراسات الأكاديمية السابقة التي حكمت على منهج الشيخ ابن عاشور في توجيه الفاصلة بناء على بضعة نماذج من تفسيره قال فيها برعاية الفاصلة، مع أن الاقتصار على تلك الأمثلة لايعكس على التحقيق مذهب الشيخ، وذلك لوجود أمثلة أخرى كثيرة وقف فيها عند مناسبات الفواصل المعنوية إما تصريحا أو إشارة وتلمحيا.

ومن أهدافه أيضا إبراز جهود العلامة ابن عاشور في في إثبات إعجاز القرآن البياني من خلال تقديم نماذج من تفسيره يكشف فيها عن بلاغة الفاصلة.

هذا وإن الدراسات السابقة [7] لمنهج ابن عاشور في التفسير على حد اطلاعي لم تحرر -في باب الفاصلة- الأسس التي قام عليها بحث الفاصلة عنده على وجه مقنع مبني على الحجة والبرهان كما تحاوله هذه الدراسة.

2. منهج ابن عاشور في تعليل الفاصلة القرآنية

فيما يلي أمثلة تقوم مقام البرهان على ما تقرر من منهج الإمام ابن عاشور تم تصنيفها بعد التتبع إلى مجموعتين حسب المنحى الذي سلكه في دراسة الفاصلة وفق الآتي:

2.1 أولا: الاقتصار على تعليل الفاصلة تعليلا لفظيا واعتبار الرعاية عليها

أ- المثال الأول: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه: 70].

[7] المرجع نفسه، ص159-166. انسجام النص القرآني دراسة نصية في تفسير ابن عاشور التونسي: عبد الوهاب يحي المؤيد . دكتوراه .جامعة اليمن 2005م.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ذهب ابن عاشور إلى أن **تقديم هارون على موسى** في هذا الموضع دون غيره من المواضع التي ذكرت قصة هارون وموسى لا يستحق أن يستوقف المفسر للبحث في دلالته لأنه جاء رعاية للفاصلة، ويؤيد مذهبه بالسياق النحوي، وبسياق النص، وأنه وقع حكاية عن السحرة وليس في الحكاية معنى الإقرار، ولا يلزم من الحكاية أيضا الإحاطة الكاملة بالمخبر عنهم.

قال ابن عاشور:

"وَتَقْدِيمُ هَارُونَ عَلَى مُوسَى هُنَا وَتَقْدِيمُ مُوسَى عَلَى هَارُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف: 121-122]. لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى تَفْضِيلٍ وَلَا غَيْرِهِ، **لِأَنَّ الْوَاوَ الْعَاطِفَةَ لَا تُفِيدُ أَكْثَرَ مِنْ مُطْلَقِ الْجَمْعِ فِي الْحُكْمِ الْمَعْطُوفِ فِيهِ**، فَهُمْ عَرَفُوا اللَّهَ بِأَنَّهُ رَبُّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَحُكِيَ كَلَامُهُمْ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَلَا تَرَى أَنَّهُ حُكِيَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُ السَّحَرَةِ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ**، وَلَمْ يُحْكَ ذَلِكَ هُنَا، لِأَنَّ **حِكَايَةَ الْأَخْبَارِ لَا تَقْتَضِي الْإِحَاطَةَ بِجَمِيعِ الْمَحْكِيِّ** وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ بِحَسْبِ الْحَاجَةِ.

وَوَجْهُ تَقْدِيمِ هَارُونَ هُنَا الرِّعَايَةُ عَلَى الْفَاصِلَةِ، فَالتَّقْدِيمُ وَقَعَ فِي الْحِكَايَةِ لَا فِي الْمَحْكِيِّ، إِذْ وَقَعَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: **قَالَ تَعَالَى:** ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨﴾ [الشعراء: 47-48]. [8]

ثم استدرك ابن عاشور فساق مناسبة دلالية للفاصلة جوَّزها ولم يجزم بها فقال: "وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَقْدِيمُ هَارُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ حِكَايَةِ قَوْلِ السَّحَرَةِ، فَيَكُونُ صَدَرَ مِنْهُمْ قَوْلَانِ، قَدَّمُوا فِي أَحَدِهِمَا اسْمَ هَارُونَ اعْتِبَارًا بِكِبَرِ سِنِّهِ، وَقَدَّمُوا اسْمَ مُوسَى فِي الْقَوْلِ الْآخَرِ اعْتِبَارًا بِفَضْلِهِ عَلَى هَارُونَ بِالرِّسَالَةِ وَكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاخْتِلَافُ الْعِبَارَتَيْنِ بِاخْتِلَافِ الِاعْتِبَارَيْنِ". [9]

وهذا الاحتمال رغم وجاهته إلا أن ابن عاشور كما يفهم من عبارته يرجح القول الأول، ولا يرى في الجمع بين موسى وهارون على نحوين مختلفين دلالة على تقديم أو تأخير رُتبي مع أنه ملحظ بنى عليه المفسرون قديما وحديثا مذاهب شتى؛ فمن قائل بأنه في سورة طه (هارون وموسى) تقديم لما حقه التأخير باعتبار أن موسى أفضل من هارون ولكن رعاية الفاصلة اقتضت هذا الترتيب، وهو قول كثير من المفسرين

[8] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج16، ص262-263.

[9] المرجع نفسه، ج16، ص263.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

والبلاغيين وقد نقله السيوطي عن ابن الصائغ ضمن أمثلة الفاصلة، ومن مجتهد في استنباط دلالات معنوية للفاصلة معتقدا أن وراء ذلك الترتيب سرا دقيقا ونكتة لطيفة.

وقد لخص أبو السعود أبرز تلك التعليلات في قوله: "قَالُواْ استئناف كما مر غيرَ مرة امَنَّا بِرَبّ هارون وموسى تأخيرُ موسى عند حكاية كلامِهم لرعاية الفواصل وقد جُوّز أن يكون ترتيبُ كلامهم أيضاً هكذا، إما لِكبَر سنَّ هارون عليه الصلاة والسلام وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطلِ من جهة فرعونَ وقومِه، حيث كان فرعونُ ربى موسى عليه الصلاة والسلام في صِغَره فلو قدّموا موسى عليه الصلاة والسلام لربما توهم اللعينُ وقومُه من أول الأمر أن مرادَهم فرعونُ".[10]

ومن الأمثلة المعاصرة ما ذكر الدكتور فضل عباس حيث قال: "سورة طه هي السورة الوحيدة التي حدثتنا عما حصل لموسى عليه السلام من خوف، وكان حريا به أن لا يكون منه ذلك، فهارون أولى به منه، لأنه لم يشاهد ما شاهده موسى، ولم يشرف بمناجاة الحق قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ [طه: 67]، فكان حريا به أن يكون رابط الجأش، ثابت الجنان، من أجل ذلك يلوح لي أن هارون عليه السلام قدم في هذه السورة، وهي قيمة قرآنية عظيمة حري بنا أن نقف عندها ونتدبرها، وهي تقدير كل عامل بعمله".[11]

وهذا التحليل في نظري يفتقر إلى الاستقراء وترد عليه جملة من الاعتراضات منها:

- ذكر الله سبحانه قِصَّةَ السَّحَرَةِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كل من سورة الْأَعْرَافِ ويونس وَطه والشُّعَرَاءِ، ومن عادة القرآن في القصص أن يوجز في موضع، ويطنب في موضع آخر بحسب ما يقتضيه المقام، و ذكروا حكمة ذلك وهي أن تظهر فصاحة القرآن في الطريقتين بالإضافة إلى تنوع الفوائد في كل موضع وهو من وجوه الإعجاز.[12]

---

[10] أبو السعود، محمد بن محمد، د.ت، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج6، ص28.

[11] فضل عباس، 1984م، *مفردات القرآن مظهر من مظاهر إعجازه*، مجلة دراسات، مجلد4، العدد11، ص45.

[12] ابن جزي، محمد بن أحمد، 1416هـ، *التسهيل لعلوم التنزيل*، المحقق: د. عبد الله الخالدي، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، ص15.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

وأما ماذكر من خوف موسى عليه السلام في سورة طه فلا يلزم أنه لم يقع منه ذلك في بقية السور؛ فالقصة واحدة وإنما هي أحداث تذكر في موضع وتطوى في موضع آخر، ويمكن ملاحظة تسلسل تلك الأحداث في القصة من خلال التتبع والاستقراء.

وعليه فإنه لا أساس للقول بالمناسبة بين ذكر الخوف في سورة طه وبين تأخير اسمه عن هارون لأن الخوف حاصل في واقع الأمر وإن لم يذكر في بقية السور.

- إن ما ذكره من توجس موسى عليه السلام أمر جِبلي لا يعاب عليه رسول كريم معدود من أولي العزم من الرسل، وقد أخفاه في نفسه ولم يتبعه نكوصا ولا تسليما وحاشاه أن يكون منه ذلك.

ومادام الأمر كذلك فإن ذلك الخوف لا يعدو أن يكون من الخواطر التي لا مؤاخذة فيها.

هذا وقد احتاط ابن كثير وتأوَّل تخوف موسى عليه السلام على معنى مُواتٍ لنزاهة الأنبياء نأيًا بهم عن كل منقصةٍ أو معتبةٍ، فقال: "وَقَوْلُهُ: فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى أَيْ خَافَ على الناس أن يفتنوا بِسِحْرِهِمْ وَيَغْتَرُّوا بِهِمْ **قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَ مَا فِي يَمِينِهِ**، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي الساعة الراهنة أن ألق ما في يمينك يعني عصاك، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا".[13]

وإن كان موسى عليه السلام قد أخفى في نفسه الخوف من كيد السحرة العظيم قبل أن يثبته الله تعالى فيعلن واثقا متحديا بأن الله سيبطل سحرهم، فقد صرح به في مواقف أخرى ففي سورة الشعراء: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء: 14]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾ [القصص: 33]. ومع ذلك تقدم ذكر موسى على هارون في سورة الشعراء على لسان السحرة في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: 47-48].

ونخلص إلى القول بأن آية سورة طه كما بين ابن عاشور حكاية عن السحرة، وليست محكيا مطابقا للواقع في جميع حيثياته؛ ومع ذلك فإن جواز أن يكون الكلام الصادر من السحرة باعتبارين يظل تعليلا معنويا وجيهًا، هذا إن تغاضينا عن دلالة الواو وأنها لا تحمل معنى الترتيب.[14]

---

[13] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج5، ص266.

[14] ويلحق بهذا التعليل قول من قال إن السحرة على قسمين منهم من قدم موسى عليه السلام ومنهم من قدم هارون عليه السلام، فمن قدم موسى فلفضله ومن قدم هارون فلكبر سنه، ويحتاج الأمر إلى دليل ولا دليل في القرآن على أن السحرة فريقان.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ولا يبعد أن تحمل فاصلة الآية في دلالتها أبعادًا معنويةً بناء على أن المغايرة في نسق الآية (بأن يذكر موسى أولا في جميع المواضع التي نقلت قصة السحرة ثم يؤخرر في موضع واحد) ممّا يومئ إلى معنى ودلالة زائدة على مجرد رعاية الفاصلة؛ وهذه المغايرة هي التي ألحت على الباحثين واستحثت تأملهم فحاولوا تلمس مناسبة لذلك إلا أن أكثر تلك المحاولات لم يخل من التكلف، ومن ذلك قول الحسناوي:

"إن هناك وجها بيانيا بعيدا يصور الحالة النفسية التي كان عليه السحرة لما ظهرت معجزة موسى فألقوا سجدا يتلعثمون بالشهادة كحال العبد الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها--وذكر الحديث".[15]

وهذا التعليل في تقديري لا ينبني على منهجية علمية؛ فمن منهج العلم تتبع الآيات في الموضوع الواحد على وجه الاستقراء حتى يسلم لنا تقرير الحالة النفسية للسحرة كشاهد ومشهود!

والحال أن السحرة أنفسهم قدموا موسى على هارون "رب موسى وهارون" في المواضع التي ذكر فيها موقفهم فيما سوى سورة طه، والحال النفسية واحدة؛ إذ القصة واحدة.

ومما يضعف ذلك الاستنباط أن القرآن الكريم لم يصف السحرة إلا بالثبات والرسوخ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ كُشِفَ عَنْ قُلُوبِهِمْ حِجَابُ الْكُفْرِ، وَظَهَرَ لَهُمُ الْحَقُّ بِعِلْمِهِمْ مَا جَهِلَ قَوْمُهُمْ مِنْ أَنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَا يَصْدُرُ عَنْ بَشَرٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَيَّدَهُ بِهِ، ولم يزدهم توعد فرعون لهم بالصلب والقطع إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: 49-51].

ويحسن في هذا المقام استذكار الضوابط[16] التي يحسن بالمتدبر للقرآن، الرامي إلى استنباط معان لطيفة من آياته أن يلاحظها قبل الإقدام على التفسير ليكون اجتهاده معتبرا، وهي:

- أن يكون المعنى المستنبط مما تقتضيه دلالة اللفظ أو المقام.
- أن يكون موافقا لأسلوب العرب واستعمالهم.

[15] محمد الحسناوي، 1421هـ/2000م، *الفاصلة القرآنية*، عمان الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، ص140.

[16] نبه ابن عاشور إلى هذه الضوابط في مقدمات التفسير 42/1 فلتنظر.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

- أن يكون خادمًا للمقاصد القرآنية.

ويظهر لي أن التفسير المذكور[17] آنفا لم يتقيد بالشرط الأول فدخل عليه الخلل من هذا الجانب.

ونجد ابن عاشور كما سيتبين من الأمثلة منضبطا بما تقدم من الشروط وسائرا على منهج الاستنباط الذي أصله في مقدماته.

ب- المثال الثاني: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧﴾ [النجم: 27]

ذهب ابن عاشور إلى أن الفاصلة جاءت على هذه الصيغة اسم جنس لتلائم النسق الصوتي فقال:

" وَالتَّعْرِيفُ فِي الْأُنْثى تَعْرِيفُ الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى الْمُتَعَدِّدِ وَالَّذِي دَعَا إِلَى هَذَا النَّظْمِ مُرَاعَاةُ الْفَوَاصِلِ لِيَقَعَ لَفْظُ الْأُنْثى فَاصِلَةً كَمَا وَقَعَ لَفْظُ الْأُولى وَلَفْظُ يَرْضى وَلَفْظُ شَيْئا"[18].

وهكذا استطاع ابن عاشور أن يعلل العدول عن صيغة الجمع (إناثا) وهي مقتضى الظاهر بهذا التخريج اللغوي البديع؛ فلفظ (الأنثى) في الآية متمكن غير قلق ولا نافر، بل قد أوفى بالمعنى حيث حمل معنى التعدد فجاء وصفا مطابقا في العدد للملائكة كما أوفى بالجرس الصوتي، وجاء منسابا مع الفواصل قبله وبعده.

وجاء هذا التعليل مناسبا **لتفسير التسمية هنا بالتوصيف** أي يصفون الملائكة وصف الأنثى، وذكر ابن عاشور شواهد على ذلك كَقَوْلِ لَبِيدٍ:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا أَيِ السَّلَامُ عَلَيْكُمَا

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى: 1]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾ [الإنسان: 18] أَيْ تُوصَفُ بِهَذَا الْوَصْفِ فِي حُسْنِ مَآبِهَا، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: 65]، أَيْ لَيْسَ لِلَّهِ مَثِيلٌ.

وقد التمس المفسرون قبله توجيها للعدول عن صيغة الجمع في الفاصلة كصنيع الزمخشري إذ قال:

[17] أي كلام الحسناوي المذكور آنفا.

[18] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج27، ص115.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

"لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ أي كل واحد منهم تَسْمِيَةَ الْأُنْثى لأنهم إذا قالوا: الملائكة بنات الله، فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الأنثى". [19]

وهذا على أن (التسمية) بمعنى (إطلاق الاسم).

وقد اعترِض على ابن عاشور بأن في تعليل استعمال لفظ (الأنثى) غرابة حيث "يجعل الفواصل من قبيل الالتزام وهذا إن جاز في كلام البشر فإنه لا يصح أن يحوم حول القرآن الكريم". [20]

ويجاب عنه بأن الفاصلة كما يراها ابن عاشور وجماهير المفسرين وجه معجز رعاه القرآن، ولا يلزم من القول به القول بالضرورة؛ وائتلاف أواخر الكلام ما لم يُخِل المعنى أو يُخِلَّ به ضربٌ من البلاغة حتى في كلام العرب شعرا ونثرا، وهو في كلام الله تعالى واقع على وجه مؤتلف لفظًا ومعنًى.

وهذا ما أبرزه ابن عاشور بعبارة دقيقة سلسة فقد ذكر وجها لغويا للفاصلة، وأيده بشواهد من شعر العرب ومن آي الكتاب الذي هو أفصح الكلام فوجه اختيار هذا الوجه بالحفاظ على النسق الصوتي؛ وهو أمر مقصود كما بينه في أكثر من موضع.

وَالتَّحْقِيقُ فِي مسألة الرعاية على الفاصلة أَنَّ الْفَوَاصِلَ مُلْتَزَمَةٌ فِي الْقُرْآنِ لَكِنْ بِغَيْرِ أَدْنَى ضَرُورَةٍ، وَلَا يكون في القرآن ما يمكن أن يُوصَفَ بِأَنَّهُ تَكَلُّفٌ بِتَرْجِيحِ اللَّفْظِ عَلَى بَلَاغَةِ الْمَعْنَى.

ج- المثال الثالث: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: 3]

قال ابن عاشور: "وَعَدَدُ الْأَلْفِ يَظْهَرُ أَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فِي وَفْرَةِ التكثير كَقَوْلِه: «وَاحِد كَأَلْفٍ» وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [البقرة:96]، وَإِنَّمَا جُعِلَ تَمْيِيزُ عَدَدِ الْكَثْرَةِ هُنَا بِالشَّهْرِ لِلرَّعْيِ عَلَى الْفَاصِلَةِ الَّتِي هِيَ بِحَرْفِ الرَّاءِ". [21]

---

[19] الزمخشري، محمود بن عمرو، 1407هـ، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، ج4، ص424.

[20] خالد محمود، أبو حسان، 1991م، *تفسير ابن عاشور، دراسة منهجية نقدية*، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية: كلية أصول الدين، الدراسات العليا، ص162.

[21] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج30، ص459.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ويفيد الكلام المنقول أن لفظ الشهر غير مراد منه حقيقته، فيجوز أن يكون يوما أو سنة أو قرنا؛ لأن المقصود من هذه الصيغة الزمنية (ألف شهر) مجرد التكثير، وإنما اختير لفظ (الشهر) ليناسب فاصلة الراء.

ويظهر أن هذا التخريج غير بعيد المرمى بل هو بعيد عن المرمى وذلك للأسباب الآتية:

أولا: مجيئ عدد من الروايات في التفسير المأثور تدل مجتمعة على أن (ألف شهر) في الآية على ظاهره منها[22]:

- ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن مُجَاهِدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ قَالَ: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَما أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ الَّتِي لَبِسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلْفَ شَهْرٍ.
- ما رواه ابن جرير بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى يُصْبِحَ ثُمَّ يُجَاهِدُ الْعَدُوَّ بِالنَّهَارِ حَتَّى يُمْسِيَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ أَلْفَ شَهْرٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ قِيَامُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ ذَلِكَ الرَّجُلِ.
- ما رواه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بإسناده عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوما أَرْبَعَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدُوا اللَّهَ ثَمَانِينَ عَامًا، لَمْ يَعْصُوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ فَذَكَرَ أَيُّوبَ وزكريا وحزقيل ابن الْعَجُوزِ وَيُوشَعَ بْنَ نُونٍ، قَالَ: فَعَجِبَ أَصْحَابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَلِكَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَجِبَتْ أُمَّتُكَ مِنْ عِبَادَةِ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ثَمَانِينَ سَنَةً لَمْ يَعْصُوْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

وهذا الذي دلت عليه الآثار المنقولة قد نص عليه ابن عاشور نفسه في معرض تفسير سورة التوبة حيث قال:

" فَتَفْضِيلُ الْأَوْقَاتِ وَالْبِقَاعِ إِنَّمَا يَكُونُ بِجَعْلِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَبَرٍ مِنْهُ، أَوْ بِإِطْلَاعٍ عَلَى مُرَادِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا فَضَّلَهَا جَعَلَهَا مَظَانَّ لِتَطَلُّبِ رِضَاهُ، مِثْلَ كَوْنِهَا مَظَانَّ إِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، أَوْ مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: 3] أَيْ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ لِمَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْأُمَمِ-"[23]

[22] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ج8، ص426.

[23] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج10، ص184.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

وهكذا وسِع ابن عاشور ما وسع المفسرين قبله لما فسر آية سورة القدر عرضا لكنه لما تصدى لتفسير السورة على وجه التفصيل ترك رأي عامة المفسرين، وأخذه القول باتساع اللغة إلى منحى آخر وهو القول بأن التخصيص بألف شهر إنما هو للتكثير؛ وهو احتمال متجه لولا ما ورد في سبب النزول.

وقد يؤخذ على هذا المسلك أن فيه اسقلالا بالتفسير اللغوي دون اعتبار ما جاءت به الرواية، ولا يلزم من صحة المعنى لغة صحته في التفسير.[24]

ثانيا: ورد التخصيص بالعدد في نصوص متكاثرة وذلك في معرض ذكر ثواب الأعمال ومضاعفة الأجور، إلا أن الأعداد المذكورة لم ترد على شاكلة واحدة، بل تعددت وتنوعت مما يشعر بأن المراد من هذا التخصيص التحديد لا مجرد التكثير، ومن الأمثلة على ذلك:

*عن عثمان بن عفان رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رِبَاطُ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ».[25]

*عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:(مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ).[26]

*عن أبي الدرداء وجابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي هذا ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة»[27]

---

[24] بحث الدكتور مساعد الطيار مسألة التفسير بمجرد اللغة والمآخذ عليه في كتابه العديد من الأمثلة كما رتب عليها قواعد مهمة /د مساعد الطيار، 1432هـ، *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، دار ابن الجوزي، ط1، ص513 فما بعدها.

[25] الترمذي، د.ت، *سنن الترمذي: في بواب فضائل الجهاد*، باب ما جاء في فضل المرابط، ج4، ص189، رقم حديث (1667). والمنذري، عبد العظيم بن عبد القوي،1417هـ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المحقق: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص223. إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما

[26] البخاري، د.ت، *صحيح البخاري*، في كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، ج8، ص85. رقم حديث (6403).

[27] البيهقي، *السنن الصغرى*،كتاب المناسك، باب إتيان المدينة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ومسجد قباء وزيارة قبور الشهداء، ج2، ص211. رقم حديث 1773.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ومنها ما جَاءَ فِي قَاصِدِ الْجُمُعَةِ بِهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا وأشباه ذلك من النصوص.

ثالثا: القول بأن التخصيص بألف شهر في الآية يراد منه التحديد لا مجرد التكثير أكثر تناسبا مع الحكمة من ليلة القدر وأنها من خصائص هذه الأمة[28]، وقد ورد في ذلك حديث رواه مالك بلاغا وفيه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِي أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أمته أن لا يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمْرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ".[29]

ولا أجد في عبارة ابن عاشور ما يوحي بأنه انحاز إلى رعاية الفاصلة على حساب المعنى؛ وذلك أنه اختار للفاصلة معنى التكثير بناء على استعمال لغوي صحيح ومحتمل ولولا أنه مخالف لما دلت عليه الآثار من التحديد لكان توجيهه سائغا، ولاسيما مع القول بأن الرعاية على الفاصلة أمر مقصود من غير ضرورة.

2.2 ثانيا: ملاحظة المناسبة المعنوية في الفاصلة مع القول بالرعاية عليها

والشواهد على هذا القسم كثيرة في تفسيره وهي على ضربين:

- ما صرح فيه بمناسبة الفاصلة.
- ما جاء في معرض التفسير وألمح إليه فيفهم من عبارته أو يستنبط.

وارتأيت أن أنتقي من الأمثلة التي كثر تداولها في التفسير في سياق مراعاة الفاصلة،أو نقلها السيوطي عن ابن الصائغ في الإتقان[30] ووجدت أن ابن عاشور وقف عندها، وألمح إلى دلالتها المعنوية ولم يقتصر فيها على الحديث المعاد بل أدلى بدلوه وزاد.

---

[28] في المسألة خلاف على قولين، والقول بأن ليلة القدر من خصائص أمة الإسلام هو مقتضى مذهب مالك و نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعُدَّةِ أَحَدُ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ عَنْ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعَ وَنَقَلَهُ الراضي جَازِمًا بِهِ عَنِ الْمَذْهَبِ، كما نص عليه بن كثير في التفسير ج8، ص428.

[29] رواه مالك في الموطأ بلاغا برقم 889، *موطأ مالك برواية أبي مصعب الزهري*، باب ماجاء في ليلة القدر، ص342. (قال ابن عبدالبر في الاستذكار ج3، ص416 : لا أعلم يروى مسنداً ومرسلاً من وجه من الوجوه إلا ما في الموطأ، وذكر ابن كثير في التفسير ج8، ص429 أنه أسند من وجه، وقال الحافظ العراقي في طرح التثريب ج4، ص151: "حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ أَصْلٌ نَعَمْ الْمُرْسَلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ عِنْدِ الْبَيْهَقِيِّ يَشْهَدُ لَهُ").

[30] من رام حصرا لها فليرجع إلى الإتقان /باب الفاصلة فقد استوعبها السيوطي نقلا عن ابن الصائغ.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

وقد أخص أمثلة انتقدت على ابن عاشور فأبين وجه الصواب فيها مع بحث مدى وجاهة النقد الذي وجه إليها.

أ- **المثال الأول:** قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117] ألمح ابن عاشور إلى علة معنوية في الفاصلة (فتشقى)، إضافة إلى فائدتها في الحفاظ على النسق الصوتي فقال:

" وَأُسْنِدَ تَرَتُّبُ الشَّقَاءِ إِلَى آدَمَ خَاصَّةً دُونَ زَوْجِهِ إِيجَازًا، لِأَنَّ فِي شَقَاءِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ شَقَاءَ الْآخَرِ لِتَلَازُمِهِمَا فِي الْكَوْنِ مَعَ الْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ شَقَاءَ الذَّكَرِ أَصْلُ شَقَاءِ الْمَرْأَةِ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ رِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ".[31]

يلاحِظ ابن عاشور في تحليله لدلالة الفاصلة أسسا علمية ومنهجية منضبطة في الاستنباط فقد **رعى أسلوب العرب واستعمالهم فذكر الإيجاز**، ورعى أيضا **دلالة النص عند الأصوليين** (وهو فحوى الخطاب[32] هنا) ثم استنبط معنى لطيفا تقرره الآية؛ وهو أن المرأة تابعة للرجل شقاء وسعادة؛ فمتى هنأ عيشه نالها من ذلك الهناء مثله، والضد بالضد.

والذي استوقف نظر المفسرين عند الفاصلة كونها جاءت على خلاف مألوف النظم؛ حيث أسند إلى آدم فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج، واستغنى بالإفراد عن التثنية فلم يقل: (فتشقيا)، وكان لهم في ذلك توجيهات، منها تلك التي ذكرها ابن عاشور من الاختصار والاكتفاء بدلالة الالتزام مع المحافظة على الفاصلة.

ومن معاني الشقاء التعب والعناء في طلب القوت[33]، لكن ابن عاشور أعرض عن هذا المعنى فبنى تفسيره (تشقى) على ما هو ضد السعادة حصرا، مع أن من منهج ابن عاشور قبول جميع المعاني التي تحتملها

---

[31] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج16، ص322.

[32] ويسمى أيضا مفهوم الموافقة وهو "دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه، نفيًا وإثباتًا، لاشتراكهما في معنى يُدرك من اللفظ بمجرد معرفة اللغة، دون الحاجة إلى بحث واجتهاد، وسمي مفهوم موافقة، لأن المسكوت عنه موافق للمنطوق في الحكم، ويسمى دَلالة النص عند الحنفية".والزحيلي، محمد مصطفى، 1427هـ/2006م، *الوجيز في أصول الفقه الإسلامي*، دمشق وسوريا: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ص154.

[33] قال ابن فارس: (شَقُوَ) الشِّينُ وَالْقَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْمُعَانَاةِ وَخِلَافِ السُّهُولَةِ وَالسَّعَادَةِ ، وَالشِّقْوَةُ: خِلَافُ السَّعَادَةِ. ابن فارس، 1399هـ/1979م، معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن زكرياء، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر عام النشر، ج3، ص202.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

ألفاظ القرآن؛ فهو يقر بوجود المشترك في اللغة كما يقر بتأثيره في الدلالة القرآنية، وقد استفاض في بيان ذلك في المقدمة التاسعة التي عقدها "فِي أَنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي تَتَحَمَّلُهَا جُمَلُ الْقُرْآنِ تُعْتَبَرُ مُرَادَةً بِهَا".[34]

ولذلك "فإن أكثر المواضع التي ذكر فيها المشترك في تفسيره أجاز أو حسَّن استعماله في معنييه أو معانيه[35]، ففي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة: 1]، يجوز وجهي المعنى في قوله: (حرم) إذ يجوز عنده "أَنْ يُرَادَ بِهِ مُحْرِمُونَ، فَيَكُونُ **تَحْرِيمًا لِلصَّيْدِ عَلَى الْمُحْرِمِ**: سَوَاءٌ كَانَ فِي الْحَرَمِ أَمْ فِي غَيْرِهِ، وَيَكُونُ تَحْرِيمُ صَيْدِ الْحَرَمِ لِغَيْرِ الْمُحْرِمِ ثَابِتًا بِالسُّنَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ: **مُحْرِمُونَ وَحَالُّونَ فِي الْحَرَمِ**".[36]

فما سرُّ عدول الطاهر ابن عاشور عن العناية بالمعاني المحتملة للفظ (تشقى) وتوجيهها؟

يظهر والله العليم أن سبب ذلك العدول استحضار وقوعها موقع الفاصلة؛ بمعنى أنها في الأصل (فتشقيا)؛ وهو مقتضى الظاهر من أول الآية حيث أشرك آدم وحواء في الخروج، لكن استغني بالإفراد عن التثنية لما ذكره من الإيجاز ودلالة الالتزام **ومراعاة الفاصلة**؛ فالحفاظ على الإيقاع الصوتي عند ابن عاشور مقصود قصدا أوليا، وترتكب لأجله أمور من تصرف في اللفظ، وعدول عن صيغة إلى أخرى مع الوفاء التام بالمعنى، وهنا يكمن الإعجاز والإعجاب في البيان المجيد؛ وذلك أن الجمع بين رونق اللفظ وكمال المعنى أمر لا يطيقه أبلغ البلغاء، وإن كان واقعا في بعض كلامهم شعرا ونثرا، إلا أنه غير مطرد في قول كل شاعر أو بليغ ولا هو ممكن في جميع إنتاجهم، ولذلك انتقدت كثير من القوافي وجملة من الأسجاع على قائليها[37].

ولو كان المعنى الثاني ل(تشقى) وهو (التعب في تحصيل القوت) مرادا عند ابن عاشور لما احتاج إلى التعليل بمراعاة الفاصلة.

---

[34] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج1، ص93.

[35] وقد تتبعها الدكتور مشرف الزهراني وذكر جملة منها في مبحث المشترك اللفظي.

الزهراني، مشرف بن أحمد، 1426هـ-1427هـ، *أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور*، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، العام الجامعي، ص233-240، كما ذكر أمثلة لها الطاهر ابن عاشور في المقدمة التاسعة.

[36] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج6، ص79.

[37] قدامة بن جعفر، 1302هـ، *نقد الشعر*، القسطنطينية: مطبعة الجوائب، ط1.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

وقد قبل ذلك المعنى الزمخشري فقال: "أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت، وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه."[38] لكن ابن عاشور استبعده لتقديمه القول بالرعاية على الفاصلة كما تقدم-

وهناك أمر آخر لاحظه عند اختياره لأحد التفسيرين ألا وهو السياق؛ وهو هنا سياق الآية فالسياق عند ابن عاشور رافد مهم فيما يصدره من أحكام تفسيرية-

ب- **المثال الثاني:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: 118-119].

تجاوز ابن عاشور القول بمراعاة الفاصلة في المثال المذكور وآثر التعليل بناء على المعنى، فقد اختار مناسبة بديعة للمتقابلات فيما بين الآيتين منوها بإحكام الربط بينهما على وجه معجز تظهر فيه الألفاظ منتظمة من حيث الترتيب مؤتلفة من حيث المعنى؛ "فقوله: لَا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحى لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَ الْجُوعِ وَالْعُرْيِ، فِي أَنَّ الْجُوعَ خُلُوُّ بَاطِنِ الْجِسْمِ عَمَّا يَقِيهِ تَأَلُّمَهُ وَذَلِكَ هُوَ الطَّعَامُ، وَأَنَّ الْعُرْيَ خُلُوُّ ظَاهِرِ الْجِسْمِ عَمَّا يَقِيهِ تَأَلُّمَهُ وَهُوَ لَفْحُ الْحَرِّ وقرص الْبرد"[39]

أما وجه اقتران الظمأ بالوقاية من حر الشمس بقوله: (لا تضحى) ف"لمناسبة بَيْنَ الظَّمَأِ وَبَيْنَ حَرَارَةِ الشَّمْسِ فِي أَنَّ الْأَوَّلَ أَلَمٌ حَرَارَةِ الْبَاطِنِ وَالثَّانِي أَلَمُ حَرَارَةِ الظَّاهِرِ".[40]

هذا وإن ابن عاشور يرى بأن القرآن الكريم يمضي على أساليب البديع في نظم الكلام،ومنها جمع النظائر، لكن إذا عرض ما يوجب التفريق بينها عدل عنها الكلام المعجز وفاء بالمعنى المعجز مع بقاء الألفاظ مؤتلفة جرسا، منسابة على السمع لتكون أوقع في النفس وأبعدا أثرا. [41]

وليس هذا التعليل من ابتكار ابن عاشور بل هو اختياره، وقد تقدم أنه مفسر مستقل يختار من أقوال السابقين أحسنها، ويضيف إلى التفسير أحسنه كما أنه يسير على منهجية علمية تتسم بالانضباط والدقة في أغلب ما يبتكره أو يرجحه من كلام المفسرين قبله.

---

[38] الزمخشري، *الكشاف*، ج3، ص92.

[39] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج16، ص323.

[40] المرجع نفسه، ج16، ص323.

[41] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج22، ص293.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

وقد قال بهذا القول العز بن عبد السلام، ووصفه نصا بأنه جناس خير من الجناس الذي افترضه أهل البيان من الجمع بين النظائر لما له من مزية في المعنى. [42]

ولذلك أورد السيوطي[43] المثال المذكور في بدائع القرآن، وأدرجه تحت نوع من البديع يُسَمَّى تَرْصِيعُ الْكَلَامِ وَهُوَ اقْتِرَانُ الشَّيْءِ بِمَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ؛ وبيانه أن "الْجُوعَ وَالْعُرْيَ اشْتَرَكَا فِي الْخُلُوِّ فَالْجُوعُ خُلُوُّ الْبَاطِنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْعُرْيُ خُلُوُّ الظَّاهِرِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالظَّمَأُ وَالضُّحَى اشْتَرَكَا فِي الِاحْتِرَاقِ فَالظَّمَأُ احْتِرَاقُ الْبَاطِنِ مِنَ الْعَطَشِ وَالضُّحَى احْتِرَاقُ الظَّاهِرِ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ". [44]

وهكذا نخلص إلى التأكيد على منهج ابن عاشور في تعليل الفاصلة وأنه يلتمس لها مناسبة معنوية إما اجتهادا أو اختيارا من أقوال العلماء ما أمكنه البحث وأسعفه الوسع-

ج- **المثال الثالث:** قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: 19-22] بعد أن أفاض ابن عاشور في تفصيل الألفاظ المتقابلة في الآية وبين أنها" أَرْبَعَةُ أَمْثَالٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَلِلْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، شُبِّهَ الْكَافِرُ بِالْأَعْمَى، وَالْكُفْرُ بِالظُّلُمَاتِ، وَالْحَرُورُ وَالْكَافِرُ بِالْمَيِّتِ، وَشُبِّهَ الْمُؤْمِنُ بِالْبَصِيرِ وَشُبِّهَ الْإِيمَان بِالنورِ والظل، وَشُبِّهَ الْمُؤْمِنُ بِالْحَيِّ تَشْبِيهَ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوس". [45]

انتقل ابن عاشور إلى وظيفتها؛ فوضح أنها أمثال كاشفة عن اختلاف فريق المؤمنين وفريق الكافرين وأنه"وَرُوعِيَ فِي هَذِهِ الْأَشْبَاهِ تَوْزِيعُهَا عَلَى صِفَةِ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، وَعَلَى حَالَةِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ، وَعَلَى أَثَرِ الْإِيمَانِ وَأَثَرِ الْكُفْرِ". [46]

---

[42] د. سيد رضوان، 1402هـ-1982م، *فوائد في مشكل القرآن لسلطان العلماء العز بن عبد السلام*، جدة: دار الشروق، ط2، ص326.

[43] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، 1394هـ/1974م، *الإتقان في علوم القرآن*، المحقق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، ص326.

[44] المرجع نفسه، ط3، ص326.

[45] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج22، ص293.

[46] المرجع نفسه، ج22، ص293.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

فهي أربعة أمثال اثنان للكفار و اثنان للمؤمنين؛ "وَقُدِّمَ تَشْبِيهُ حَالِ الْكَافِرِ وَكُفْرِهِ عَلَى تَشْبِيهِ حَالِ الْمُؤْمِنِ وَإِيمَانِهِ ابْتِدَاءً لِأَنَّ الْغَرَضَ الْأَهَمَّ مِنْ هَذَا التَّشْبِيهِ هُوَ تَفْظِيعُ حَالِ الْكَافِرِ ثُمَّ الِانْتِقَالُ إِلَى حُسْنِ حَالِ ضِدِّهِ".[47]

وذكر بإسهاب ما يقابل كل لفظ من معنى؛ وخلاصته أن الأعمى والظلمات تشبيه للكفار وضدها للمؤمنين، والظل مثل لأثر الإيمان وضده الحرور أي حر الشمس مثل لأثر الكفر.

ثم راح يؤكد على روعة أسلوب الآيات، وبهاء نظمها ملفتا النظر إلى موقع الفاصلة الإيقاعي فقال:

"وَقُدِّمَ فِي هَذِهِ الْفِقْرَةِ مَا هُوَ مِنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَكْسِ الْفِقْرَاتِ الثَّلَاثِ[48] الَّتِي قَبْلَهَا لِأَجْلِ الرِّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ بِكَلِمَةِ الْحَرُورُ. وَفَوَاصِلُ الْقُرْآنِ مِنْ مُتَمِّمَاتِ فَصَاحَتِهِ، فَلَهَا حَظٌّ مِنَ الْإِعْجَاز".[49]

وقد اتضح مما نقل أن ابن عاشور ذكر المناسبة المعنوية لتقديم الظل على الحرور قبل أن يعرض لمناسبتها اللفظية[50]، وأنها جاءت على ذلك الترتيب لتناسب الانتقال من فظاعة حال إلى حسن حال؛ فالظل كما تقدم حال من النعيم شبه بها حال المؤمن، وما تلا الآية من ذكر الأحياء أيضا تمثيل لأثر الإيمان، وذلك في مقابل ما سبق من تشبيه حال الكافر بالعمى والظلمات وفيهما معنى الضلال والجهل.

ويزيد هذا الأمر وضوحا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [غافر: 58]

قال ابن عاشور:

---

[47] المرجع نفسه، ج22، ص293.

[48] لعله سبق قلم، ويظهر لي أن المقصود "على عكس الفقرتين" إذ كانت أربع فقرات اثنتين قدم فيها حال الكافر واثنتين أخريين قدم فيها حال المؤمن-والله أعلم.

[49] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج22، ص292.

[50] انتقد صاحب الدراسة النقدية والمنهجية لتفير ابن عاشور المشار إليه آنفا منهج ابن عاشور في تناول الفا صلة وحشد أمثلة ليدلل بها على أنه يكتفى بالتعليل اللفظي لها وأنه يغرب في ذلك بل قد ينحى منحى خطيرا يدخل به على قدسية القرآن!
ومنها آية فاطر حيث اقتصر من كلام الشيخ على الجزء الذي يشير فيه إلى رعاية الفاصلة؛ وقد تبين للقارئ ما قي هذا المسلك من العجلة التي لا تهدي إلى تبين منهج المفسر على وجه التحرير.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

" فَقدم ذَكَرَ تَشْبِيهَ الْكَافِرِينَ مُرَاعَاةً **لِكَوْنِ الْأَهَمِّ فِي الْمَقَامِ** بَيَانَ حَالِ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْآيَاتِ **إِذْ هُمُ الْمَقْصُودُ بِالْمَوْعِظَةِ**". [51]

"وَأَمَّا قَوْلُهُ: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَلَا الْمُسِيءُ فَإِنَّمَا رَتَّبَ فِيهِ ذِكْرَ الْفَرِيقَيْنِ **عَلَى عَكْسِ تَرْتِيبِهِ فِي التَّشْبِيهِ بِالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ اهْتِمَامًا بِشَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ**".[52] وَأَنَّ "ذِكْرَ الَّذِينَ آمَنُوا قَبْلَ الْمُسِيءِ لِلِاهْتِمَامِ بِالَّذِينَ آمَنُوا وَلَا مُقْتَضِيَ لِلْعُدُولِ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ قُضِيَ حَقُّ الاهتمام بالذين سبق الْكَلَامُ لِأَجْلِ تَمْثِيلِهِمْ، فَحَصَلَ فِي الْكَلَامِ اهْتِمَامَانِ.

وَقَرِيبٌ مِنْهُ مَا فِي سُورَةِ فَاطِرٍ فِي أَرْبَعِ جُمَلٍ: اثْنَتَيْنِ قُدِّمَ فِيهِمَا جَانِبُ تَشْبِيهِ الْكَافِرِينَ، وَاثْنَتَيْنِ قُدِّمَ فِيهِمَا تَشْبِيهُ جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: 19-22].[53]

3. الخاتمة

أولا: نتائج البحث:

من خلال النماذج المذكورة، وما صاحبها من التحليل وتخللها من النقد إضافة إلى القراءة في الأصول التي قررها ابن عاشور في مقدمات تفسيره توصل بحث الفاصلة إلى النتائج الآتية:

- إن منهج ابن عاشور في تناول الفاصلة يقوم على البحث في دلالتها المعنوية فإذا لم يتبين له من وظيفة الفاصلة إلا الجانب الفني متمثلا في رعاية الفواصل قال به.
- إن القول بمراعاة الفاصلة عند ابن عاشور يعتمد على كونه وجها من وجوه الإعجاز البياني؛ ذلك أن الانسجام الإيقاعي من متتمات الفصاحة عند العرب.
- إن بحث الفاصلة عنده أسفر عن جهود له قيمة في هذا الجانب، وقد توصل إلى استنباط أسرار الفاصلة البلاغية والدلالية ملاحظا العدول عن مألوف الاستعمال اللغوي الملحوظ فيها.

---

[51] ابن عاشور، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، ج24، ص177-1178.

[52] المصدر نفسه، ج24، ص177-1178.

[53] المصدر نفسه، ج24، ص177-1178.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

- إن العناية ببلاغة الفاصلة عند ابن عاشور فرع عن عنايته بالمناسبات القرآنية؛ حيث كثيرا ما يربط دلالتها بدلالة ما قبلها على مبدأ التناسب ووجود علل وراء ترتيب أجزاء القرآن.

وآخر دعولنا أن الحمد لله رب العالمين.

ثانيا: التوصيات:

- إن التفحص الدقيق عند إرادة الكشف عن مناهج المفسرين في تناولهم لقضايا التفسير يعتمد الاستقراء التام لمفردات المسألة لحجيته دون الاستقراء الناقص.
- إن تعقب المفسر في القول برعاية الفاصلة دون ذكر بعد معنوي لها لا ينفي إنكار الدور الوظيفي للفاصلة في الفصاحة، ولكنه إثراء للتفسير وإسهام في الكشف عن دلالات الآي الخفية.
- لا يزال درس الفاصلة مجالا خصبا للدارسين جمعا من أقوال العلماء أو اجتهادا وهو بحث لم ينضح بعد مما يستدعى تظافر الجهود لخدمته، والإسهام من خلاله في إبراز الإعجاز في البيان المحيد.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa. (1395H/1975M). *Sunan Al-Tirmidhi*, Ahmed Muhammad Shaker (Juz' 1, 2), Muhammad Fouad Abdel-Baqi (Juz' 3) and Ibrahim Atwa Awad, Al Mualim in Al-Azhar Al-Sharif (Juz' 4, 5), Misr, Sharikat Maktabat Wa Matbaat Mustafa Al-Babi Al-Halabi, Al Tabaa.

[2] Ibn Abd al-Bar Youssef bin Abdullah. (1421H/2000M). *Al Tazkirah*, Salem Muhammad Atta, Muhammad Ali Moawad, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1.

[3] Abdul Aziz Al-Salami. (1402H/1982M). *Fawaed Fi Mushkeel al Qur'an, Sayed Radwan Ali Al-Nadawi*, Jeddah, Dar Al-Shorouk, 2.

[4] Al-Hafiz Al-Iraqi, Abdul Rahim bin Al-Hussein. (n.d). *Tarh Al Tathreem Fi Sharh Al-Taqreeb*, Al Tabaa Al misriyah Al Quadimah, Sawartha, Dar Ihya' Al Turath Al Arabi, Muassassat Al Tarikh Al Islami, Dar Al Fikr Al Arabi.

[5] Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher bin Muhammad. (1984H). *Al Tahreer Wa al Tanweer*, Tunis, Al Dar Al Tunousiyah linashr.

[6] Ibn Attia, Abd al-Haq ibn Ghalib. (1422H). *Al Muharrar Al Wajiz lilkitab Al Aziz*, Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

معالم القرآن والسنة
MA'ALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

[7] Abu Al-Saud, Muhammad Bin Muhammad. (n.d). *Irshad Al Aql Asaleem Ela Mazayah Al Kitab Al Kareem*, Beirut, Dar Ihyaa' Al Turath.

[8] Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. (1422H). *Al-Musnad Al- Al-Sahih*, Sahih Al-Bukhari, Muhammad Zuhair Al-Nasser, Dar Tawq Al-Najat.

[9] Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein. (1410H/1989M). *Al-Sunan Al-Saghir*, Abdul Muti Qalaji, Pakistan, Jamiat' Al Dirasat Al Islamiyah, Karachi, 1.

[10] Al-Munziri, Abd al-Azim ibn Abd al-Qawi. (1417H). *Al Targheeb Wa Al Tarheeb Mina' Al Hadeeth Al Sharref*, Ibrahim Shams al-Din, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1.

[11] Al-Ragheb Al-Isfahani, Al-Hussein Bin Muhammad. (1412H). *Al Mufradat Fi Raeeb al Quaran, Safwan Adnan Al-Daoudi*, Damascus Beirut, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya, 1.

[12] Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr. (1394H/1974M). *Al Itquan Fi Ouloum al Qur'an*, Muhammad Ibrahim, General Egyptian Book Organization.

[13] Al-Zuhaili, Muhammad Mustafa. (1427H/2006M). *Al-Wajeez Fi Ousoul al Fiqh*, Dimashq, Souria, Dar Al-Khair Li Nashr, Wa Tawzee', Tabaa 2.

[14] Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amr. (1407H). *Al-Kashaf an Daqaeq' Al Taaweel Wa Rawamedh al Tanzeel*, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Al Tabaa 3.

[15] Al-Wahidi. (n.d). *Sharh Diwan al Mutanabi*, Ali bin Ahmed bin Muhammad.

[16] Al-Zahrani, Mishref bin Ahmed. (1426-1427H). *Athar Al Dilalah Al Lughawiyah Fi Tafseer Inda Al-Taher bin Ashour*, Arabia Saudia, Jami'at Umm Al-Qura.

[17] Fadl Abbas. (1984M). *Mufradat Al Qur'an Madhar Min Madhaher I'jazih*, Majalat Dirasat, Mijalad 4, Al Adad 11.

[18] Ibn Faris. (1399H/1979M). *Mu'jam Maqayees Al lugha*, Ahmed bin Zakaria, Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr.

[19] Imru' al-Qays, Ibn Hajar ibn al-Harith, al-Kindi. (1425H/2004M). *Diwan of Imru' al-Qays*, Abd al-Rahman al-Mastawi, Beirut, Dar al-Maarifa, 2.

[20] Ibn Juzy, Muhammad bin Ahmed. (1416H). *Al Tas'heel Li Ouloum Al Tanzeel*, Dr. Abdullah Al-Khalidi, Shatihat, Beirut, Dar Al-Arqam Bin Abi Al-Arqam.

[21] Khaled Mahmoud. (1411H/1991M). *Tafsir Ibn Ashour*, Dirasah Manhajiyah Wa Naqdiyah, Ishraf Dr. Fadl Abbas, Jamiat Al Urdon.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah
Vol. 17, No. 2, (2021), pp. 242-263
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 5 July 2021
Accepted date: 28 September 2021

[22] Ibn Katheer, Ismail bin Omar. (1419H). *Tafseer Al Quran Al Adheem*, Muhammad Al-Din Al-, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Manshurat Muhammad Ali Beydoun.

[23] Ibn Manzur. (1414H). *Lisan Al Arab*, Muhammad Bin Makram, Beirut, Dar Sader, Tabaa 3.

[24] Muhammad Al-Hasnawi. (1421H/2000M). *Al Fasselah Al Quraniyah*, Jordan, Dar Ammar.

[25] Malik bin Anas, Muwatta' Malik Bi Riwayat Abu Musab Al-Zuhri, Bashar Awwad Maarouf - Mahmoud Khalil. (1412H). *Muassassat Al-Resala*.

[26] Dr. Mosaed Al-Tayyar. (1432H). *Al Tafseer Al Loughawi lil Qur'an*, Dar Ibn Al-Jawzi.

[27] Qudamah bin Jaafar, Naqd Al Shiir. (1302H). *Al-Jawa'ib Li Atibaa*, Al Qustantiniyah.

[28] Dr. Syed Radwan. (1402H/1982M). *Fawaed Fi Mushkil al Qur'an Li Sultan Al Oulamaa*, Al-Izz bin Abd al-Salam, Jeddah, Dar al-Shorouk.